

كلمة الأستاذ الدكتور

رضوان السيد

الفائز بجائزة الملك فيصل العالمية

للدراستات الإسلامية لعام ١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م

الحفل التاسع والثلاثون

الثلاثاء ١٤٣٨/٧/٧هـ الموافق ٢٠١٧/٤/٤م

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

لا يدري أحدٌ منا، نحن الدارسين، لماذا يسيطر على تفكيرنا وعملنا هذا التوجه أو ذاك، وهذا المنهج أو ذاك. لقد قال لي بعض الزملاء والأساتذة، عندما صدرت دراساتي الثلاث الأولى في التفكير السياسي في الإسلام: إنني إنما أتابع "الموضة" أو الاتجاه السائد في الاهتمام بالشأن السياسي على وجه الخصوص. وأنا أعترف أنّ مسألة الدولة في اجتماعنا العربي الإسلامي شغلتنى كثيراً منذ أواخر السبعينيات من القرن الماضي. لقد حدث الاهتمام إذن، وتلاه العمل الواعي على مراحل. بيد أنّ المسألة التي حفرت عميقاً في وعيي كانت ما قاله لي أستاذان في مصر وفي ألمانيا. المصري الدكتور محمد البهي ما كان يريد لي أن أتابع دراستي في الإسلاميات بألمانيا لدى المستشرقين، والألماني سألني بسخرية خفيفة: لماذا تأتي إلينا من الأزهر للحصول على شهادة التأهل في الإسلاميات، ولا نشعر نحن بالحاجة للذهاب إليكم من أجل دراسة كلاسيكيات الإسلام؟

وبالطبع، فإنّ سؤال المرجعية والعلمية والموضوعية، هو سؤالٌ كبيرٌ وكبيرٌ جداً، وفي العلوم الاجتماعية والإنسانية والإسلامية خصوصاً، وتحتاج الإجابة عنه إلى أجيالٍ كثيرة. وليس الهدف في هذا المجال الدحض أو الحلول محلّ الآخرين؛ بل التحدي هو في بلوغ الندية والمشاركة الفاعلة والمؤثرة: المشاركة في إنشاء وتطوير علم الإسلام، وهي مهمةٌ جليّةٌ تقوم بها مؤسسة الملك فيصل الخيرية التي صارت جوائزها شهادات تأهلٍ واستحقاق.

إنّ ما أنجزته خلال خمسة وثلاثين عاماً في مجالات الدراسات الإسلامية، تأليفاً وتحقيقاً وترجمةً، يتصل في وجهه الرئيس بناحية واحدة من مناحي علم الإسلام والحضارة الإسلامية، وهو التفكير بالدولة في المجال التاريخي. فمنذ الثمانينيات من القرن الماضي قال لي الأستاذ الجابري والأستاذ حنفي إنه صار ضرورياً، استناداً إلى دراساتي ودراسات زملاء آخرين، إنشاء "جماعة الفكر السياسي الإسلامي" بوصفه مجالاً وتخصصاً محدّد المعالم، وصالحاً لكتابة برامج للدراسات العليا في نطاقه.

لقد تبين لي من تركيب شبكة المفاهيم، التي قد تُصبح أنظمةً ونظماً إذا اشتغلت عناصرها معاً ولو لفترةٍ أو حقبة؛ أنّ الإسلام كان دائماً رأسَ المال الرمزي الذي يتداوله السياسيون والمتكلمون والفقهاء في مجال نظرية السلطة، وفي مجالات السياسة أو إدارة الشأن العام. ولا حرجَ في سياسات المعنى هذه، فهي سياساتُ شرعيةٍ وشرعية. وإنما يحصلُ الاختلالُ عندما تتغول سياسات الإدارة أو سياسات المعنى الواحدة على الأخرى. وقد حدث ذلك مراراً في تاريخنا وهو يحدثُ اليوم.

إن لدينا اليومَ ثلاثة تحديات: تحدي استنقاذ الدولة الوطنية، وتحدي الإصلاح الديني، وتحدي تصحيح العلاقة بالعالم.

شكراً لهيئة جائزة الملك فيصل العالمية على هذا التقدير الكبير، وشكراً للنخبة السعودية التي أعتز بحبها ورعايتها: {فأما الزبدُ فيذهبُ جُفَاءً وأما ما ينفعُ الناسَ فيمكثُ في الأرضِ}.